مقدمات الكتب الجغرافية في العصر الإسلامي

تأليف

المدرس الدكتورة دنيا عبد علي الشمري
قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة البصرة

1436هـ
2015م

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الهادي الأمين ، نبينا محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الذين تبعوه بإحسان إلى يوم الدين .

إن الاستفادة من العلم تكون بأن نحرص على اقتناء الكتب النافعة التي تحوي هذا العلم الذي وارثوه وخلفوه لنا علماء أمتنا الإسلامية ، فنستفيد من هذا العلم المهيأ سواء كان هو مؤلفه أم جمعه عن غيره ممن جاء بعده ، بأن نقتني هذه الكتب النافعة وأن نحرص على الاستفادة منها وكيف نستفيد منها؟ إن من طرق الاستفادة من هذه الكتب أن نقرأ مقدماتها وأن نعرف مصطلحاتها ؛ لأن قراءة المقدمات في الغالب يكون فيها توضيح للمصطلحات ، وفيها بيان للطرق والمناهج التي أرادها وقصدها هؤلاء العلماء في تأليفهم ؛ فإن من لا يقرأ هذه المقدمات ولا يعرف المصطلحات التي اشتملت عليها قد يبحث عن الشيء في غير مظنته ، وقد يظن أنه يجد بغيته في هذه الكتب ، وهي لا توجد فيها لأنها لا تدخل تحت مصطلحات صاحبه التي بينها وأوضحها في كتابه .

إذاً قراءة المقدمات ومعرفة المصطلحات إذا كانت هناك مصطلحات عُرفت عن طريق الاستقراء ، وعن طريق التتبع لعمل هذا المؤلف وصنيع ذاك ، فبمعرفتها يستفيد الإنسان من هذا الكتاب ، وأما إذا لم يعرف المصطلحات فإنه لا يستفيد وقد يبذل شيئاً من الوقت في البحث في كتاب ، وهو ليس مظنة لهذه الفائدة ، وليس مظنة لهذا الشيء الذي يبحث عنه الباحث لأنه لا يدخل تحت اصطلاح الكتاب ولا يدخل تحت ما عناه وما قصده المؤلف من هذا الكتاب إذاً معرفة المقدمات من أهم الطرق التي يستفيد بها الباحث من علم هؤلاء العلماء الذين دونوا هذا الميراث العلمي العظيم.

الاستفادة من هذه الكتب أن الإنسان عندما يقرؤها يحرص على تدوين الفوائد المهمة التي يمر بها ، يدونها في مذكرات خاصة فهذه الفوائد إذا لم يقيدها وإذا لم يدونها فإنها تضيع عليه ولا يعرف أين هي، فإذا كان الكتاب مكوناً مجلدات كثيرة، وفيه من الكنوز و الفوائد العظيمة ، ثم إذا مر الباحث بهذه الفوائد ولم يكن على معرفه بها على وجه الدقة فإنه قد يحتاج الى وقت طويل لكي يعثر على مبتغاه ، ولا يتمكن من ذلك ،إلا بأن يقرأ أو يفتش في المظنات وقد يحصلها أو لا يحصلها، وقد يمضي عليه ساعات كثيرة في تحصيلها، و ربما يحصلها ولكن لا يكون ذلك إلا بعد أن ظفر بتعب وضيع على نفسه وقتاً طويلاً كان بإمكانه أن يستفيد لو عرف هذه الفائدة عندما مر بها في أول مرة، إذاً هذه المقدمات من أهم الطرق التي بها يحصد الفوائد من هذه الكتب ، وهي ضرورية جداً لأنها تحدد منهج المؤلف وخطته في الكتاب، مما يعين الباحث على الوصول إلى أفضل المعلومات وفي أسرع الأوقات .

ولذلك رغبنا في تسليط الضوء على أبرز ما تناوله الجغرافيين المسلمين في مقدمات كتبهم التي أوضحوا فيها أهمية مؤلفاتهم وفائدتها وطبيعتها وحدودها ومصادرها التي اعتمدوها واستقوا منها معلوماتهم ، والتي تعد من أبرز النقاط التي يجب على الباحث أن يضمنها مقدمة بحثه وفق أسس ومناهج البحث الحديثة وهي ليست من ابتكار هذا العصر وإنما كانت من الأمور المتعارف عليها لدى الباحثين في العصر الإسلامي ، وهذا ما سنحاول كشفه من خلال الصفحات القادمة من البحث ، الذي يحاول رصد نماذج مما كتبه الجغرافيون في مجالاتها المختلفة ، ومقرنتها مع مناهج البحث الحديثة بهدف اظهار أوجه الشبه والاختلاف بينهما ثم محاولة الاستفادة من هذه المعلومات في مجال مناهج البحث الراهنة.

ولما كان من العسير جداً استعراض جميع ما كتبه علماؤنا في هذا المجال خلال مختلف تاريخهم، فقد كان أسلوب البحث انتقائياً بحيث نختار نماذج معينة مما كتب هولاء ودونوه عن أحوال المدن وبيئتها وسكانها في صورهم المختلفة ،مما يلقي الضوء على السمات العامة لمناهج التأليف لديهم .